

تفسير البحر المحيط

@ 39 @ من بني عبد الدار كانوا يؤذونه في الليل إذا صلى وجهر بالقراءة ، فقال ا

بينهم وبين أذاه . . .

ولما تقدّم الكلام في تقرير الإلهية جاء بعده تقرير النبوة وذكر شيء من أحوال الكفرة في إنكارها وإنكار المعاد ، والمعنى وإذا شرعت في القراءة وليس المعنى على الفراغ من القراءة بل المعنى على أنك إذا التبست بقراءة القرآن ولا يراد بالقرآن جميعه بل ما ينطلق عليه الاسم ، فإنك تقول لمن يقرأ شيئاً من القرآن هذا يقرأ القرآن ، والظاهر أن القرآن هنا هو ما قرء من القرآن أي شيء كان منه . وقيل : ثلاث آيات منه معينة وهي في النحل { أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ * إِلَيَّ * الْغُفْلُونَ } وفي الكهف { وَمَنْ أَظْلَمُ * إِلَيَّ * إِذْ أَبَدًا } وفي الجاثية { أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ * إِلَيَّ * أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } وعن كعب أن الرسول كان يستتر بهذه الآيات ، وعن ابن سيرين أنه عينها له هاتف من جانب البيت ، وعن بعضهم أنه أسر زماناً ثم اهتدى قراءتها فخرج لا يبصره الكفار وهم يتطلبونه تمس ثيابهم ثيابه . قال القرطبي : ويزاد إلى هذه الآي أول يس إلى { فَهَمْ لَ لَا يُدْصِرُونَ } ففي السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم) حين نام على فراشه خرج ينثر التراب على رؤوس الكفار فلا يرونه وهو يتلو هذه الآيات من يس ، ولم يبق أحد منهم إلا وضع على رأسه تراباً . والظاهر أن المعنى جعلنا بين رؤيتك وبين أبصار الذين لا يؤمنون بالآخرة كما ورد في سبب النزول . . . وقال قتادة والزجاج وجماعة ما معناه : { جَعَلْنَا بِئِكَ } فهم ما تقرأ وبينهم { حَجَابًا } فلا يقرون بنبوتك ولا بالبعث ، فالمعنى قريب من الآية بعدها ، والظاهر إقرار { مَسْتُورًا } على موضوعه من كونه اسم مفعول أي { مَسْتُورًا } عن أعين الكفار فلا يرونه ، أو { مَسْتُورًا } به الرسول عن رؤيتهم . ونسب الستر إليه لما كان مستوراً به قاله المبرد ، ويؤول معناه إلى أنه ذو ستر كما جاء في صيغة لابن وتامر أي ذو لبن وذو تمر . وقالوا : رجل مرطوب أي ذو رطوبة ولا يقال رطبه ، ومكان مهول أي ذو هول ، وجارية مغنوجة ولا يقال هلت المكان ولا غنجت الجارية . وقال الأخفش وجماعة { مَسْتُورًا } ساتراً واسم الفاعل قد يجيء بلفظ المفعول كما قالوا مشؤوم وميمون يريدون شائم ويامن . وقيل : مستور وصف على جهة المبالغة كما قالوا شعر شاعر ، وردّ بأن المبالغة إنما تكون باسم الفاعل ومن لفظ الأول { وَجَعَلْنَا عِلْمَ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ } وَفِيهِمْ وَقُرْآنًا { وَجَعَلْنَا عِلْمَ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ } تقدم تفسيره في أوائل الأنعام { وَجَعَلْنَا عِلْمَ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ } .

قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ { . قيل : دخل ملاً قريش على أبي طالب يزورونه ،
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقرأ ومر بالتوحيد ، ثم قال : (يا معشر قريش قولوا
لا إله إلا الله) تملكون بها العرب وتدين لكم العجم) فولوا ونفروا فنزلت هذه الآية .
والظاهر أن الآية في حال الفارسيين عند وقت قراءته ومروره بتوحيد الله ، والمعنى إذا جاءت
مواضع التوحيد فرفض الكفار إنكاراً له واستبشاعاً لرفض آلهتهم واطّراحها . .
وقال الزمخشري : وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعداء وعدة و { وَحَدَّه } من باب
رجع عوده على بدئه وافعله جهداً وطاقتك في أنه مصدر ساد مسدّ الحال ، أصله يحد يحد وحده
بمعنى واحداً انتهى . وما ذهب إليه من أن { وَحَدَّه } مصدر ساد مسدّ الحال خلاف مذهب
سيبويه و { وَحَدَّه } عند سيبويه ليس مصدرًا بل هو اسم وضع موضع المصدر الموضوع موضع
الحال ، فوحده عنده موضع موضع إيجاد ، وإيجاد موضع موضع موحد . وذهب يونس إلى أن {
وَحَدَّه } منصوب على الظرف ، وذهب قوم إلى أنه مصدر لا فعل له ، وقوم إلى أنه مصدر
لأوحد على حذف الزيادة ، وقوم إلى أنه مصدر لوحد كما ذهب إليه الزمخشري وحجج هذه الأقوال
مذكورة في كتب النحو .